أعرفُ منها شبهاً في كلِّ شيء حسَنِ

فقد أتى بالمعنى عاميًّا لطيفاً مجفوًّا غير صنيع ، وهو على ذلك أرق من فيك منى ومن الناس ...

فهذا مذهب الشعر من لدن جرير إلى يومنا هذا ولم نستقصه فى غرض واحد من أغراضه ، وذاك مذهب العربية فى معانى ألفاظها ، وسبيل الفلاسفة فى تحديد معانيها ، وفي ثلاثتها قصَّر بيت العقاد وفسد واستحال معناه وتهالك منطقه . فمن أين يمكن وصف الرافعى — إذا نقد هذا البيت — بأحد أمرى الأستاذ قطب : إما أن يكون ضيق الاحساس مغلق الطبع بحيث لا يلتفت هذه اللفتات الفنية بالشعور ... (وأين وأنى وكيف تجدها يا أستاذ الأستاذين ؟) وإما أنه يدرك هذا الجمال ولكنه يتلاعب بالصور الذهنية وحدها ، غافلا عما أحسه وأدركه ... وما ندرى كيف كان يحسه الرافعي رحمه الله ؟

أكان يحسه ويدركه بقوة الجوع والعطش فى البيت الذى يليه

كيف بى أعزل إن أغنيتنى أنت عن شرابى والطعام !

وأخيراً ، فقد خير الأستاذ قطب أصدقاء الرافعى بين أن يحكموا عليه باحدى كلمتيه أن يكون رحمة الله عليه مسلوب « الطبع » أو مسلوب « العقيدة » وقد تبين بعد الذى قلنا أن نقد الرافعى نقد « محكم » فى سياق العربية ، وفى جوهر الشعر ونزيد فنقول إن قارئ القصيدة (غزل فلسفى) حين يقرؤها إلى أن ينتهى إلى هذا البيت : « فيك منى ومن الناس ... » لا يجد فيها من « الحياة » ولا من « الخيال » ولا من « غنى الشعور » ولا من « الاحساس الفنى » — إلى آخر ما يتنبل به الأستاذ قطب — ما يجعل نقد هذا البيت بعينه دليلا على ضيق الاحساس واستغلاق الشعور ، والغفلة عن الجمال ، وفساد الانسانية فى قلب ناقده

وعلى هذا فقد سقط الدليل الأول من أدلة أحكامه على الرافعى وبان فى ذلك ما امتاز به الرافعى من الدقة وصدق الاحساس فى إدراك معانى الشعر وما فيه من غضارة ورُوقة وجمال

محمود محمد شاكر

بين الأديب وبين الناس

للآنسة فلك طرزى

(مهداة إلى الأستاذ توفيق الحكيم)

سيدى الفاضل صاحب الرسالة الغراء :

القطعة الأدبية التى أبعث بها اليوم إليك لتنشر على صفحات مجلتك الراقية ، استوحيتهـا من السلسلة الأدبية الأولى التى ينشرها تباعاً الأستاذ توفيق الحكيم فى الرسالة تحت عنوان « من برجنا العاجى »

وقد كتبتها يوم كنت فى حلوان أنعم بجو هـذه المدينة الساحرة وأنفس عن صدري بنشق أرج النسيم المعطر بعبير الزهر المتدلية عناقيده وباقاته فى روضات حدائقها النضرة ، فأشعر بأثر الصحة يتغلغل بين جوانب هـذا الصدر قوياً حاراً يبعث فيه السرور والبهجة والنشاط . ولا غرو فان أسعد أيام حياتى الذاتية هى تلك التى قضيتها على شاطىء وحدة هذه المدينة الفاتنة تحت بواسق نخيلها وفى ظل صمتها وسكونها

كتبتها يومئذ ثم حالت شواغلى دون نشرها فطويتها بين أوراق إلى أن عثرت عليها اليوم بينما كنت أقلب فى هذه الأوراق، فرأيت أن أرسلها إليك لتنشرها فى « رسالة » الفن العالى والأدب الصادق الحى ، ولو أن نشرها سيجىء متأخراً

لو علم النـاس كيف يعيش كل أديب أو مفكر فى هذا الوجود ، ولو علموا نوع الحياة التى يقضيها هذا الأديب أو ذاك المفكر مرتبكا حائراً بين متناقضات تتركب منها نفسه ، لكفوا عن توجيه الملام إليـه ، ولاقتصروا عن نعته بمختلف النعوت والصفات التى لا تنطبق ألبتة على حقيقته مكتفين بالاقرار أن نفسه غير نفوسهم ، وأن إحساسه لأبعد غوراً وأعمق نفاذاً من إحساسهم ؛ ولكن يظهر أن الحياة التى منحوهم إياها القدر حين شيعهم إلى باب الوجود قائلا لهم : اذهبوا فان لكم الحياة ولكن ... قد غشت أبصارهم بمشاوة الجهل فلم يدركوا مغزى « لكن » هذه التى يخفى باطنها وينم على معان كثيرة فاتهم إدراكها ، كما فاتهم أيضاً رؤية البسمة الساخرة التى ارتسمت على ثغره المـازىء المتهكم ساعة شيعهم إلى باب الوجود ؛ فما علموا أن القدر منحهم أشياء وسلبهم شيئاً هو أعظم أشياء الدنيا

وأغلاها قيمة ! وما دروا أن القدر حرمهم نعمة لا يبلغ قمتها العالية سوى من ذاق مرارة الألم التي يولدها الفكر والاحساس ، ومن شعر بقلبه يهتز بين جنبيه مختلجاً حائراً بين إحساس وإحساس وبين فكرة وفكرة

غير أن « لكن » ثابتة كما قلت ياسيدى قد نطق بها القدر أيضاً حين دفع بالأدباء والمفكرين إلى الوجود وأرفقها بصيحة ألقاها فى وجوههم قائلاً : « إذهبوا فإن لكم الفكر ولكن.. » فبلغت « لكن » هذه من شدة دويها مبلغاً جعلهم شديدى الإنصات إليها ، حريصين على ألاّ يفوتهم سماع الصدى الهائل الذى ينبعث من انفجاره فى أنفسهم ، فيتفتح فيها من جراء هذا الانفجار منافذ وأبواب على العالم الفاعض ، لينطبع على صفحات هذه النفوس كل صورة ومشهد من صوره ومشاهده ، وكل ما يحوى من حقائق مُرة لاذعة ، وخيالات جميلة عذاب

ولا إخال الجماعة الذين أدركوا معنى « لكن » هذه وسبروا غورها العميق فعرفوا أن باطنها يحوى متعاً من الحياة قد سلبهم إياها الفكر والشعور ليمنحهم نعمة الشقاء ولذة الألم — قد يحسدون يوماً من الأيام بقية الناس الذين نعموا بالحياة وبكل ما تحويه الحياة وحرموا نعمة واحدة هى أسمى النعم وأرفع اللذات وأعنى بها نعمة الشعور الذي يولد التفكير الصحيح

وإذا حملهم أحياناً فيض شعورهم لشدة ما ينتابهم من جرائه على حسد أولئك ، فإن هذا الحسد لا يدوم إلاّ لحظات ، ولا يطول أكثر من فترات . ذلك لأن « النوع » الرفيع العالى الذى يطبع سعادة جماعة الفكر والأدب بطابعه السحرى ، لا يستطيع غيرهم من الناس إدراك كنهه العميق وليس بوسعهم بلوغ قمته العليا

وهل بامكان البواعث التى يسعد بها الناس أن تبعث فى نفس الأديب أو المفكر أية سعادة ما ؟

وهل تسر هذا الأديب أو ذاك المفكر نفس المسرات التى يغتبط بها بقية الناس ؟

قد تسعد الأديب ذات البواعث التى تسعد الناس ، وقد تسره الأسباب التى تسرهم ، غير أن ما يميزه عنهم ويجعل فروقاً بين سعادته وسعادتهم وسروره وسرورهم هو ما يمكن أن تخلفه هذه السعادة وذاك السرور فى نفسه من عميق الأثر وما قد ينتج عن هذا الأثر من معان وفكر قد تحولها — أى السعادة والسرور — إلى عكسهما بعد أن يخضعهما الأديب إلى قوانين التحليل والتدقيق

ولكم سخر أدباء من سعادة كثير من الناس وفضلوا عليها شقاوتهم وحيرتهم ! ولكم لام المفكرون ونقدوا أساليب ووسائل يستعين بها أشخاص لبلوغ أمنية السعادة المنشودة دون التفريق بين أسلوب وأسلوب والتدقيق بين وسيلة ووسيلة !

فاذا كان الفكر الانسانى قد حكم على كل مفكر وأديب أن يحبس نفسه فى مقر ذاته العميق ، وأن يرسل نبرات صوته بين أرجاء السكون الذى يملأ هذا المقر ، ثم لا يسمع غير صدى هذه النبرات !

وإذا كان قد قضى عليه أن يعيش فى تلك العزلة الموحشة عزلة نفسه التى يحرسها « تنين » الوحدة ، فمزاؤه عما فاته من متع الحياة أنه يصغى فى كل لحظة من لحظات عمره القصير بعدد السنين المديد بمقدار الدقائق إلى كل همسة من همسات ضميره ونفسه ، وينصت إلى كل نغمة من نغمات الحياة التى لا تنفك أوتار قلبه تعزفها على قيثارة الضلوع

فلتغنِّ إذن بين جدران أنفسنا الشاهقة ، ولترسل ألحان هذه الأغانى موسيقى تحوى أنغام الحياة على أنواعها فتتحول عند سقوطها فى القاع — قاع أنفسنا — صوتاً قوياً تنبعث منه نبرات الحياة حارة بليغة

« دمشق » فلك طرزى

حسين فوزى

سندباد عصرى

فى أثر ابن ماجد وابن بطوطة
فى أثر فاسكو داجاما ومارکو بولو

جولات فى المحيط الهندى

أطلبه من المكاتب الشهيرة . الثمن ١٢ قرشاً